الفصل الثالث

السلوكيات المنحرفة الأكثر شيوعًا لدى الأحداث في الوطن العربي

كشفت الدراسات السابقة التي تناولت مشكلة انحراف الأحداث في عدة أقطار عربية مجموعة من الانحرافات السلوكية التي يرتكبها الأحداث في تلك الأقطار، ويتناول هذا الفصل مناقشة أنواع الانحرافات والجرائم الأكثر شيوعا منها، مع إسداء بعض النصائح لمكافحة كل منها.

(١) السرقة

أثبتت الدراسات الآنفة الذكر أن السرقة هي الأكثر شيوعا بين الانحرافات لدى الأحداث في الوطن العربي، ومن المعلوم أيضا أنها عالمية تجرمها كل التشريعات القانونية في العالم. وتعتبر السرقة عند الأطفال من المشكلات الاجتماعية الخطيرة، والتي تستدعي اهتمام الأسر لمعرفة أسبابها وعلاجها، ويؤدي عدم معالجة الطفل منها إلى تأصلها وتفاقمها مستقبلا، يصعب على الفرد التخلص منها بسهولة، حيث تتطور لتدفع بالحدث إلى ارتكاب أخطاء جسيمة ضد المجتمع، وتسيء إلى صورته عند الآخرين وعلاقته الاجتماعية بهم (الزعبي، أحمد ١٨٢:٢٠٠١). ويعرف الدكتور يحيى حسن شريف (١٩٩٨) السرقة على أنها «الاستيلاء بطريقة غير قانونية على الأشياء التي يمتلكها آخرون» (ص ٩٥).

والسرقة البسيطة يكثر شيوعها عند الأطفال في مرحلتي انطفولة المبكرة والوسطى، وتزداد درجتها بين الخامسة والسادسة من العمر، ثم تميل إلى التناقص نتيجة لنمو الضمير عند الطفل وابتعاده تدريجيا عن التمركز حول الذات. وقد تكون السرقة نوعا من الانصياع التلقائي لدافع أو رغبة مؤقتة، وقد يجاري الحدث غيره لارتكابها، كما أنها قد تكون اضطرابا نفسيا يصدر من طفل عصابي، وإذا ما استمرت حتى بعد العاشرة من العمر فإنها تدل على وجود اضطراب انفعالي خطير عند الطفل يستدعي مساعدة متخصصة فورية، وهي أيضا كغيرها من الانحرافات غالبا ما تكون صفة مكتسبة يقتبسها الطفل نتيجة لمعايشته مع من يرتكبها من الآخرين (الزعبي، أحمد ١٨٣:٢٠٠١).

وللسرقة عند الأحداث أنواع متعددة:

- السرقة العارضة: والتي يتعرض فيها الشخص للإغراء أو التحريض، وقد تتكرر سرقة الحدث ولكن يتوقف عن هذا الفعل فيما بعد.
- السرقة المعتادة: وعادة ما تكون مدبرة ومقصودة ويتكرر حدوثها وهذا النوع من السرقة يصعب تركها.
- السرقة للحاجة: وتحدث نتيجة حرمان الحدث لامتلاكها.
- السرقة للمباهاة: يقوم بها الحدث لمجرد التباهي والتفاخر أمام الأقران سواء كان ذلك لما يحوز عليه من خلالها أو المباهاة بالمقدرة على الفعل المنحرف ويعتبره الحدث نوعا من «الشطارة».
- السرقة الفردية: ويقوم الحدث بمفرده دون مشاركة الغير.
- السرقة الجماعية: وهذا النوع من السرقة يشترك فيها أكثر من فرد، وأحيانا يكون للسارق دور مكلف به من قبل عصابته.
- السرقة بدافع التعويض الرمزي: منها مثلا الافتقاد للحب والاهتمام من الوالدين .

- السرقة بدافع الانتقام: وهي حيلة لا شعورية يقوم بها الحدث لينتقم من الوالدين أو من يمثل السلطة (سري، إجلال ١٧٦:٢٠٠٣-٨).

السرقة في التشريع الإسلامي

تعني السرقة في مفهوم الفقه الإسلامي «أخذ الشيء في خفية»، أما السارق فهو من «جاء مستترًا إلى حرز فأخذ منه ما ليس له». وللسرقة في الدين عقوبة تصل إلى قطع اليد، وهي من ضمن ما يعرف بالحدود، ولكن هذه العقوبة مشروطة، فمن وجهة نظر الإسلام لا يطبق الحد على السرقة إلا إذا «تضمنت أخذ مال الغير شريطة أن يكون هذا الأخذ عن طريق الاختفاء والاستتار، وشريطة أن يكون المال الذي أخذ منه مالا محرزًا أي محفوظًا في مكان مغلق مقفلا عليه» والسارق من وجهة نظر هذا التعريف هو من ينقب الدور، ويهتك الحرز، ويكسر القفل. علما بأن حد السرقة لا يطبق إلا بشروط وهي أن يكون السارق شخص بالغ وعاقل ومكلف ومعنى هذا أنه لا حد على مجنون ولا على صغير لأنهما غير مكلفين، ويؤدب الصغير إذا سرق. كذلك من الشروط أيضا لتطبيق الحد على السارق أن لا يكون مجبرا على السرقة (الهمشري، محمد علي وآخرون ٢٦: ١٩٩٦).

هذا عن السرقة بوجه عام، غير أنه لا يمكن النظر لهذا الأمر بالنسبة للصغار، وإنما يجب أن يقاس الجرم بالنسبة لسنهم الذي يحدد التشريع التكليف تجاهه، وهذا ما يحتم توضيحه للتعامل معه، فليس من اللائق أن نطلق على ما يستولي عليه الطفل دون وجه حق من أشياء على أنه سرقة، فقد يحدث مثلا أن يكتشف الوالدان عند عودتهما إلى المنزل أن في يد ابنهما لعبة لم يدفعا ثمنها وقد أخذها الطفل دون أن ينتبها إلى ذلك، وهذا الطفل لا يمكن أن يطلق عليه أنه سارق؛ لأنه غير عاقل وغير مكلف، ولأن الفعل الذي قام به لم يكن مبنيا على القصد والنية، ورغم ذلك يجب أن يبدي الوالدان أمام ابنهما الحزن والقلق وينبهانه إلى أن هذه اللعبة ليست من حقه، وعليهم جميعا أن يعودوا إلى المحل لإرجاعها أو دفع قيمتها (الهمشري ٢٩: ١٩٩٦).

كيف تعالج السرقة عند الأطفال؟

يقدم الدكتور الهمشري (١٩٩٦:٥٠) نصائح وإرشادات مفيدة إلى الآباء والمربين لحماية الأطفال من الانحراف إلى السرقة نوجزها فيما يلي:

١. أشبع حاجات طفلك إلى المحبة والعطف حتى لا يجد حرجًا في البوح لك بكل ما يختلج في صدره، وليعبر عن سائر رغباته دون أي خوف، وعامله برفق واستجب إلى طلباته المعقولة الممكنة، واعتذر عن إجابة ما تعجز عن تحقيقه، وكن صريحًا وصادقًا في اعتذارك عن عدم إجابة بعض تلك الرغبات.

٢. احترم حق طفلك في تملك الأشياء المناسبة لنموه من اللعب والأدوات، وأعطه الفرصة للمشاركة في اختيار اللعب وشرائها، ودربه على المحافظة عليها وصيانتها، واجعله يعتز بملكيتها دون زهو أو خيلاء، واسمح له أن يشرك غيره من الأطفال في اللعب بها مع حرصه على استعادتها، واسمح له بأن يتخلص من الزائد منها مما كان يستخدمه في مراحل نموه السابقة بإهدائه إلى غيره من الأطفال المحتاجين الذين لا تتوفر لهم السبل للشراء، وخصص له مكانا خاصًا يحتفظ فيه بلعبه وأدواته.

٣. أتح الفرصة لطفلك لاستخدام النقود بتخصيص مصروف جيب يومي مناسب له يتصرف فيه بحرية لاستكمال ما قد ينقصه وما قد يحتاج إليه خلال اليوم من أدوات مدرسية أو حلوى أو دفع اشتراكات مالية تطلبها المدرسة لتزيين الفصل أو إقامة احتفال رياضي أو معرض مدرسي، وراقب استخدامه لنقوده الخاصة مع ترشيد ذلك الاستخدام برفق، ودون أن يشعر بعبء التدخل الدائم في شؤونه الخاصة، واسمح له بأن يتصدق أو يحسن إلى المحتاجين من تلك النقود.

٤. ضع في اعتبارك أن طفلك يعيش في مجتمع صغير يضم أطفالا آخرين مثله، وينبغي أن يتوفر له في ملبسه ومظهره وأدواته ولعبه ونشاطاته المختلفة ما

يتوفر لغيره من الأطفال، حتى لا يكون شعوره بالنقص دافعًا لـه لسـلوك أسـاليب غير سليمة.

٥. لا ينبغي أن يشعر الطفل بأنه طفل مدلل بتصرف وفق هواه، ولا يصح أن يغرقه سائر أفراد الأسرة بمبادراتهم الطوعية للاستجابة لرغباته، لأن في ذلك إساءة للقيم التي تربيه عليها، وينبغي أن يكون كل ما يقدم للطفل بموافقة أبويـه وتحـت إشرافهما وتوجيههما ومحاسبتهما للطفـل برفـق وإرشـاد ونصـح حـول صـرف النقود وادخار الفائض منها.

٦. ينبغي أن يشعر الطفل دوما بانتمائه الكامل إلى الأسرة، فهو أحد أفرادهـا، ويتحمل على قدر نضجه مسئولية في الحفاظ على صـالحها وممتلكاتهـا، لـذلك لا ينبغي أن يشعر الطفل بأنه لا يستطيع فتح الأدراج أو الخزانات، بـل عـلى العكـس من ذلك ينبغي أن يكلف بإحضار أشياء معينة من الدرج أو الخزانة، مـع توجيهـه إلى الحرص على الأشياء المحفوظة حتى لا تتبعثر أو تضـيع، لأنهـا ملـك الأسـرة وسوف تحتاج إليها في وقت ما.

٧. ينبغي أن يعامل سائر الإخوة في الأسرة على قدم المساواة، فلا يميـز أحـد الأبناء على غيره إخوته، حتى لا يتولد الشعور بالغبن أو الحقد، مما قد يـدفع مـن يحس بالظلم من الأبناء إلى الانتقـام مـن ممتلكـات الطفـل المميَّـز أو ممتلكـات الأبوين نفسيهما.

٨. يمكن أن ترصد الأسرة حوافز تشجيعية يحصل عليها الأبناء إذا قام أيهـم بعمل يعود على الأسرة بالخير، وقد يكون هذا العمل: خدمة ترتبط بنظافة المنزل، أو إصلاح أحد الأجهزة المنزلية، كما قد تكون معاونة قدمت من أحـد الأبنـاء إلى أخ من إخوته، أو عملا من أعمال البر والخير والإحسـان قـام بـه... الـخ، بـذلك يتعلم الأبناء أن العمل سبيل لتنمية الثروة.

٩. ينبغي أن تراقب الأسرة مقتنيات الطفل الخاصة، فإذا ما طرأت عليها أية زيادة أو نقص حرصت الأسرة على التعرف على مصدر الزيادة أو سبب النقص، مع توجيه الطفل إلى رد ما ليس له إلى صاحبه، واستعادة ما نقص من مقتنياته الخاصة، والحرص على ماله وعلى مال الغير على حد سواء.

١٠- لا بد أن تحرص كل من الأسرة والمدرسة على توجيه الطفل إلى الحفاظ على المال العام، متمثلا في الطريق العام والحدائق العامة وأعمدة الإنارة والهواتف الخاصة بالعملة الموجودة في الطريق العام وصناديق ابريد.. إلخ. كما يجب أن تحرص الأسرة على أن تضرب المثل للطفل، بأن تشعره بأنها ملتزمة بسداد الرسوم المستحقة نظير استخدام التيار الكهربائي والمياه ورسوم النظافة، فكلها حقوق عامة للمجتمع يسهم المواطنون في تكلفتها وإدارتها حرصا على الصالح العام.

١١- من الضروري جدا البعد التام عن العقاب البدني المبرح لكي يكتسب الطفل سلامة البناء النفسي للطفل، وتدوم الثقة والصراحة بينه وبين المربي، وحتى لا يلجأ إلى الأساليب المَرَضية في السلوك لكي يرضي السلطة، ومن تلك الأساليب الكذب والغش والتزوير وهي تؤدي إلى الانحراف والسرقة. (ص ٣٠-٥٣)

(٢) مشكلة الإدمان (المسكرات والمخدرات)

الإدمان عموما يعني استخدام «كل مادة طبيعية أو مستحضرة في المعامل، من شأنها إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية والصناعية الموجهة أن تؤدي إلى حالة من التعود» (سالم، زينب ١٢٥:٢٠٠٧).

ويضر الإدمان الصحة الجسمية والنفسية والاجتماعية للفرد والجماعة على انسواء، وليس هناك أي قدر من الأمان في تعاطي أي نوع من المخدرات بدون

استشارة الطبيب، ويمكن للإدمان أن يحدث نتيجة للاستعداد النفسي لدى الشخص، أو كنتيجة للتغيرات الفسيولوجية والبيولوجية والكيميائية في جسم الإنسان وجهازه العصبي خاصة، حيث يضطر الفرد إلى استمرار التعاطي، فيحدث الإدمان (نفس المرجع ص ١٢٧)، سواء كانت تلك مسكرات أو مخدرات. وفيما يلي إلقاء الضوء على أهم أنواعها:

أولا: المسكرات

تعتبر المسكرات آفة من آفات العصر ابتلي بها بعض الشباب وأعضاء من أفراد المجتمع من جميع الفئات العمرية، ومن أمثلتها الكحول المثيلي، ومن ضمنها المثيل (السبرتو) وهو شديد الخطورة، إذ يؤثر تأثيرا شديدا على أطراف الأعصاب، ويؤدي إلى التهاباتها المختلفة، ويشعر المدمن بآلام شديدة في الأعصاب، وتصيب هذه الأنواع شبكية العين وفقدان البصر.

أما الإثيل فله أنواع مختلفة ومع اختلاف في التركيز، وكلها لها تأثيرات ضارة على الكبد والجهاز العصبي والجهاز التناسلي (سالم، زينب ١٢٩:٢٠٠٧).

ثانيا: أنواع المخدرات

تنقسم المخدرات إلى مخدرات طبيعية ومخدرات تخليقية، والأولى تؤخذ من بعض النباتات كالخشخاش والقات وشجرة الحشيش والكوكايين، أما المخدرات التخليقية فتحضر بطريقة كيميائية، ومن أمثلتها: المواد المنومة، والمواد المدلفة والمواد المنبهة والمواد المهلوسة. وفيما يلي بعض الأمثلة لكل نوع من هذه المخدرات:

الأفيون ومشتقاته

وهو عبارة عن عصارة مستخرجة من ثمرة نبات الخشخاش، وتكمن خواصه الطبية والمسببة للإدمان في مكونين أساسيين: المورفين والكوكايين، وهو المادة الخام للإنتاج غير المشروع للهيروين، ويعتبر الهيروين من أخطر المخدرات في

العالم، ويؤدي تعاطيه لمدة أسبوع إلى الإدمان، ويسبب إدمانه مشكلات صحية وأخلاقية جمة، مثل: فقدان الشهية- الضعف الجنسي- اضطرابات الدورة الشهرية عند النساء- تقيح في الجلد- تسمم في الدم – التهاب الكبد- والتسمم والوفاة أو الانتحار – ارتكاب جرائم السرقة للحصول على المال اللازم لشراء المخدر- وامتهان الدعارة لدى الفتيات- والكسل والإهمال.

وتظهر على المدمن على هذا المخدر الأعراض التالية:

- الرغبة الشديدة للحصول على هذا المخدر.
- القلق.
- كثرة إفراز العرق.
- التثاؤب.
- إفرازات كثيرة من الأنف والعين.
- انكماش الجلد، الشعور بالسخونة والبرودة، سرعة التنفس، الإسهال، ارتفاع السكر في الدم.

الكوكايين

يستخرج الكوكايين من أوراق شجرة الكوكا بعملية كيميائية، وهو عقار منبه ومثير للشعور بالنشوة والهلوسة، ويثير أوهاما خيالية وهلاوس سمعية وبصرية وحسية، قد يسهل للمجرم ارتكاب جرائم خطيرة ضد المجتمع.

الحشيش

الحشيش هو القنب الهندي، ويطلق عليه أحيانا مارجوانا، ويدخن الحشيش أحيانا مع التبغ، ويؤدي تعاطيه إلى الإحساس بالمرح والنشوة وتغيرات في الإحساس بالزمان والمكان وضعف القدرة والذاكرة، وزيادة الحساسية البصرية والتهاب الملتحمة والتهاب الشعب الهوائية، وعندما يتعاطى المدمن جرعات

كبيرة من الحشيش يصاب بتخيلات وأوهام وتشوش وتدهور في الشخصية وهلوسات تشبه الذهان تتسم بالعدوانية والخوف. وقد يؤدي الاستمرار في تعاطي الحشيش إلى إضعاف الوظائف الحركية النفسية، ويحتوي على مواد ضارة مسببة للسرطان وتلف الجهاز التنفسي.

المهدئات

للمهدئات آثار نفسية ضارة تتمثل في خلل الجهاز العصبي، وخاصة عندما تؤخذ بطريقة مستمرة وبجرعات كبيرة، وينشأ التعود عليها بسهولة. ويسبب الانقطاع الفجائي عنها الأرق والقلق وتقلص العضلات والوهن والدوار والغثيان والقيء وتشوه الإدراك البصري وتشنجات صرعية ونوبات هذيان، وأحيانا حالة ذهان، مع سلوك خيلائي وهلوسات، وربما يؤدي إلى الوفاة.

المنبهات

يعتبر الأمفيتامين من أهم المنبهات، وهو أول المركبات في سلسلة المؤثرات العقلية والنفسية، وتقترب في تأثيرها من الكوكايين، فهي قادرة على إنعاش المزاج وتبديد التعب والإحساس بالجوع، غير أنها ذات قدرة كبيرة على إحداث الإدمان النفسي بسرعة، وقد تحدث ذهانا تسمميا بعد أسابيع من الاستعمال المستمر لها، ويؤدي التسمم بهذا العقار إلى تغيرات عميقة في السلوك، وحالات ذهان وهلوسة سمعية وبصرية وحسية، قد تصاحبها مشاعر الخوف والسلوك العدواني وارتكاب الجرائم الخطرة، وتكون شديدة الضرر على سائقي السيارات، حيث تسبب مشاعر التهيج والنوبات المفاجئة تعرض السائق للحوادث.

الهلوسات

وهي مجموعات متنوعة أهمها الأندولكيلاميات والفينيليتيلامينات تراميد وحامض الليسيوجيك (ل.س.د)، وتحدث هذه العقاقير تغيرات ذهنية عميقة، مثل النشوة والقلق وتشوه الإدراك الحسي والهلوسة البصرية والسمعية الشديدة

والأوهام وانفعالات تتسم بجنون الشك والاكتئاب، ويؤدي تعاطي هذه العقاقير إلى إدمان نفسي.

القات

وهو نبات ينمو في اليمن والصومال والحبشة، ويمضغ المتعاطي أوراق النبات ويضعها بين الخد والفكين للاستحلاب، ويحتوي هذا النبات على مادة فعالة تؤدي إلى نشاط يصاحبه خمول مع إحساس بحالة تشبه الحلم.

التبغ

التبغ هو نبات للتدخين تصنع منه السجائر، وعند احتراقه يتحول إلى أكسيد الكربون داخل الجسم، ويقلل قدرة كرات الدم الحمراء على نقل الأكسجين إلى الأنسجة، كما يحتوي الدخان على القطران الذي يسبب سرطان الرئة، وتحتوي السجائر على أعلى تركيز من القطران، يليها السيجار ثم دخان الغليون والنارجيلة.

المذيبات

ويقصد بها قائمة من المواد التي أدت إلى إدمان البعض على استنشاقها، وأهمها: البنزين-الصمغ- طلاء الأظافر- الأسيتون- والسائل الذي يستخدم في تعبئة الولاعات. ويؤدي استنشاق هذه المواد إلى أضرار بالغة على المخ والكبد والرئتين، ويلجأ المتعاطي على استنشاقها ليشعر بالاسترخاء والدوخة، وفي بعض الأحيان تؤدي إلى الهلوسة، ولسهولة الحصول عليها، تعتبر هذه الظاهرة أكثر انتشارا بين الأحداث والمراهقين. وهناك من المواد التي تسبب الإدمان الخفيف، ولكن لا تندرج في قائمة الانحرافات السلوكية، ولا يتعدى تأثيرها الأضرار الصحية كالأرق والتوتر وهي مثل: الشاي والقهوة والكاكاو.

مواد جديدة مبتكرة

وهناك مواد جديدة من المخدرات والمؤثرات العقلية التي تم ابتكارها أخيرا وتشكل خطرا كبيرا تفوق فيه تلك التي عرفت سابقا، مما يثير القلق على مستقبل الأفراد وخاصة الناشئة (سالم، زينب ٣٥ -١٣٠:٢٠٠٧).

وقد انتشرت الحبوب المنشطة لدى المراهقين على نطاق واسع في أوروبا والولايات الأمريكية المتحدة في أواخر الستينيات، حيث كانت الوصفات الطبية مثل الفاليوم والليبروم تستخدم بكثرة لعلاج الإثارة والتهيج في تلك المجتمعات، ومما زاد ذلك سوءا نسبة الارتفاع السريع في استخدام المراهق الأوروبي والأمريكي لأنواع مختلفة من المخدرات مثل المارجونا وحبوب الهلوسة، وارتبط تعاطي هذه المخدرات والمنشطات بحركة الهيبز، وكان بعض الشباب يرون أن يستخدموا هذه الأشياء كتعبير لتحدي مباشر للقيم الرئيسية في المجتمع، كما يعبر عن الضيق وعدم الارتياح وإحساس الشباب بالاغتراب، وعادة ما يكون هؤلاء الشباب قلقين اجتماعيا ومضطربين نفسيا، مما زاد من انتشار الهيروين والكوكايين وغيرها من العقاقير المخدرة (الأشول، عادل ٢٠٠٨:٥٥٥).

وتطالعنا الصحف اليومية ووسائل الاتصال والإعلام المختلفة في الآونة الأخيرة بظهور مشكلة تعاطي المخدرات في وطننا العربي، والتي أصبحت معدلاتها تتزايد عاما بعد عام. وقد كان الاعتقاد في الماضي أن هذه الظاهرة يقتصر حدوثها على الطبقات الدنيا في المجتمع، أي الطبقات العاملة وغير المثقفة، فأصبحت اليوم ظاهرة عامة تشمل كل فئات المجتمع بما فيهم النساء والأطفال وخاصة الشباب. فعرفت طريقها إلى المدارس والجامعات. والأخطر من ذلك أن ممارسة التعاطي لهذا الانحراف تأخذ أحيانا الشكل العلني، ومعنى ذلك أن أخطارها تتفاقم لتسيء ليس للمجتمع فقط وإنما للدولة والقانون.

وكغيرها من الانحرافات والجرائم تنتقل هذه الآفة إلى الأبناء عن طريق التقليد، وهذا يستدعي إعطاء الصغار مزيدا من الاهتمام والرعاية من قبل الأهل، وكثيرا ما تؤدي المعاملة الحسنة وكسب ثقة الأبناء من قِبل أُسرهم، إلى صمام أمان لهم من اللجوء إلى الأقران الذين يبحث الابن لديهم عن الأمان الذي يفتقده في أسرته نتيجة سوء التكيف، فيقتبس منهم عادة هذه الآفة.

***

(ثانيا) مشاعر الضياع عند الشباب

إن خطورة هذه المشكلة بدأت تظهر تدريجيا، وهي أيضا ظاهرة عالمية، ويرجع لها السبب لوجود بعض التيارات الفكرية المعادية للمجتمع، والتي كانت تؤدي إلى اعتناق أنواع معينة من السلوك السلبي أو التخريبي في المجتمع، وتعبر جماعات (الهيبز) و(الوجوديين) وغيرها في أمريكا وأوربا عن بعض هذه الأنماط السلوكية. وإذا ما حللنا أسباب حالة الضياع لدى الشباب في مجتمعاتنا العربية، فإننا سنجد أن الشاب أصبح فريسة الحيرة بين نمطين من الحياة: نمط تقليدي متوارث عن الآباء والأجداد، وآخر حديث غربي مدعوم بوسائل الإعلام الجاذبة لعقول الشباب وميولهم، وذلك لما تمتلكه هذه الوسائل من فنون الإبداع وتطور التقنية، هذا إلى جانب احتكاكه بالثقافات الأجنبية، سواء كان عن طريق السفر أو الاطلاع على تلك الثقافات بشتى الوسائل سواء كانت تعليمية (عن طريق التعليم الأجنبي) أو عن طريق المطالعة الحرة مثل الكتب والإنترنت وغيرها. هكذا يصبح الشاب حائرا بين ثقافتين يعجز عن التأقلم مع أي منهما، ونتيجة لذلك قد يكون عرضة لمشكلات الضياع. ولا يعتبر الدكتور عاطف غيث هذه الحالة ظاهرة انحرافية، ولكنها مشكلة قد تؤدي إلى سلوكيات سلبية حيث يجد الشاب نفسه واقعا فيها (غيث، عاطف ١٩٨٨).

(ثالثا) السلوك العدواني والعنف

كل طفل يولد يكون مزودا بالقدرة التلقائية على تطور النمو والنضج واكتساب الشعور بشتى الانفعالات : كالبغض والحب والنفور والميل والغضب والحلم، وكل هذه الانفعالات تشكل جزءا لا يتجزأ من الطبيعة البشرية. ومن خصائص الشخصية السوية أن تكون مزودة بهذه الانفعالات، ولكن بالحجم الملائم وفي الوقت المناسب (منصور، عبد المجيد سيد والشربيني، زكريا ١٧٤:٢٠٠٣). أما إذا زادت هذه الانفعالات عن حدها الطبيعي، يصبح ذلك سلوكا غير سوي ومنه العدوانية.

وتتسم العدوانية بالعنف، وتختلف الآراء حول كونها مكتسبة ومتعلمة أم هي فطرية موروثة، فبينما يذهب البعض إلى أن الطفل يولد وهو مزود بحاجة إلى البغض والعدوان، وبالمقابل بالحب والعطف، يرى آخرون أن كل هذه الخصائص مكتسبة، فالطفل يتعلم البغض والكراهية من خلال الخبرات المؤلمة، بينما يتعلم الحب والعطف من خلال الخبرات السارة (منصور، عبد المجيد سيد والشربيني، زكريا ١٧٤:٢٠٠٣).

وسواء كانت العدوانية وراثية أم مكتسبة، فهي من الانفعالات التي تشكل خاصية الإنسان، كما أن لها تأثيرها المباشر على سائر الانفعالات الأخرى. وتختلف مراتب العدوانية عند الأطفال باختلاف مراحل أعمارهم، فالحنق والغضب عند طفل الثانية من العمر يختلف عن ذلك الذي يبديه الصبي في عقده الثاني، وذلك نتيجة تعود الطفل مع مرور الزمن على التحكم في النزعات العدوانية والتعبير عنها بأساليب أكثر نضجا. ومن الأمور المسلم بها أن الطفل يستشعر بعض الغضب والغيظ من وقت إلى آخر، وقد يوجه غضبه إلى ذويه كالإخوة والآباء، أو المعلمين أو الأقران أو غيرهم (منصور، عبد المجيد سيد والشربيني، زكريا ١٧٥:٢٠٠٣).

ومهما تعددت تفسيرات السلوك العدواني فإن سيجموند فرويد هو أول من قدم تفسيرا لها وللدوافع المحركة لها. فقد ذكر أن للإنسان غريزتين تسيطران عليه: إحداهما: غريزة الحياة، وهي التي لها الفضل في المحافظة على حياة الفرد وتكاثر الجنس. أما الثانية: فهي غريزة الموت، ويعبر عنها بالعدوان، وهي أقل وضوحًا بالمقارنة بغريزة الحياة، فعندما يشعر الفرد بتهديد خارجي تنتبه غريزته العدوانية فتجمع طاقتها ويغضب الفرد، ويختل توازنه الداخلي، ويتهيأ للعدوان لأي إثارة خارجية بسيطة، وقد يعتدي بدون إثارة خارجية حتى يفرغ طاقته العدوانية، ويخفف توتره النفسي، ويعود إلى اتزانه الداخلي (ناصيف، ١٩٨٦).

وفي نظرية التحليل النفسي، ربط فرويد بين العدوان والمراحل المختلفة للتطور النفسي للطفل، فهو يرى أن الطفل في نهاية المرحلة الفمية ومع ظهور الأسنان تتحول الطاقة العدوانية لديه إلى تعذيب «الموضوع اللبيدي المشبع» وهو الأم من خلال ميله إلى عض ثدي أمه أثناء الرضاعة.

بينما في المرحلة الشرجية، وبعد تمايز الموضوع اللبيدي وتعرف الطفل على وسائل التدمير (بول، براز) تتمايز غرائزه، ويتعرف على أسلوب يناسب الحب والكراهية، فتظهر السادية والمازوخية معبرة عن غريزة الموت. وتندرج العدوانية في المرحلة الأوديبية، حيث المنافسة بين الطفل والوالد من نفس الجنس على الاستئثار بالأم، فيوجه الطفل عدوانه إلى الأب.

وبذلك يربط فرويد بين الغريزة الجنسية والعدوان وخاصة في المراحل المبكرة للطفولة، حيث يقول: إن جميع صور العدوان ذات مصدر جنسي موجه نحو السيطرة على دفعات الجنس (الظاهر، قحطان ١٢٣:٢٠٠٤).

والسلوك العدواني عموما لدى الأطفال من أهم مسببات الإزعاج لدى الوالدين، كما تؤكد الدراسات وجود علاقة بين السلوك العدواني للأطفال وما يلاقونه من اهتمام ورعاية في الأسرة، ففي دراسة لعشرين طفلا تتراوح أعمارهم بين الرابعة والسادسة في دور الحضانة أجراها كورنر (١٩٤٩) Korner، تبين أن الأطفال الذين يتمتعون بكفايتهم من محبة الوالدين وعطفهما كانوا يعبرون عن عدوانهم في مواقف اللعب بقوة، أما في مواقف الحياة الأخرى فكان تعبيرهم العدواني أكثر واقعية، وقد فسرت النتيجة بأن هؤلاء الأطفال قد عمدوا إلى كبت عدوانهم إزاء مواقف الحياة احتفاظا بمحبة والديهم، إلا أنهم وجدوا التعبير عن هذه الميول العدوانية وتفريغها في مواقف اللعب (الأشول، عادل ٤٧٦:٢٠٠٨).

أما الأطفال الذين حرموا من محبة والديهم وعطفهم فقد جاءت النتيجة بعكس المجموعة الأولى، حيث كانوا ذوي ميول عدوانية قوية إزاء مواقف

الحياة، وميول عدوانية ضعيفة إزاء مواقف اللعب، وهناك أيضا من كان ذوي ميول عدوانية إزاء جميع المواقف. ويدل ذلك على أن ما يتعرض له الأطفال من حرمان وإعاقة أدى إلى وجود العدوان لديهم في استجاباتهم لمختلف المواقف على السواء تعبيرا عن سخطهم (الأشول، عادل ٤٧٦:٢٠٠٨).

وتشكل سنوات المراهقة فترة اضطراب وأزمات على المستوى العقلي والجسمي، كما يتعرض المراهق إلى اضطراب الهوية وأزمتها، فبمرور الجانح المراهق بهذه الأزمات قد يتعرض إلى العنف بجميع أشكاله من الآخرين، وربما يؤدي ذلك إلى قيام المراهق نفسه بسلوك عدائي تجاه الآخرين (ميزاب، ناصر ١٠٧:٢٠٠٥). وإذا ما تركت مشكلة السلوك العدواني عند الطفل بدون معالجة، قد تتفاقم وتتطور مستقبلا إلى جريمة العنف.

ويعرف الدكتور محمود سعيد الخولي جريمة العنف بأنها تتمثل في« إقدام شخص أو مجموعة من الأشخاص على ارتكاب أفعال أو القيام بممارسات من شأنها إلحاق الأذى البدني بالآخرين أو النيل من حريتهم أو الإضرار بممتلكاتهم» (٢٧:٢٠٠٨).

ويعاني الوطن العربي من ظاهرة جرائم العنف بطريقة تثقل كاهل الدول العربية اقتصاديا.

ففي تقرير «للمركز العربي لمكافحة الجريمة» أظهرت المقارنة بين عامي ١٩٩٣ و١٩٩٦ عن جرائم العنف في الدول العربية أن مجموع هذه الجرائم خلال ثلاث سنوات في الدول العربية قد بلغ عام ١٩٩٣ (٣٩٠٣٨٨) جريمة ثم ارتفع ليصل إلى (٥٦٩٩٨٠) جريمة عام ١٩٩٦، أي بزيادة قدرها ٤٦٪ من إجمالي جرائم العنف أو الجرائم ضد الإنسان الواقعة بالدول العربية، مما يشير إلى ارتفاع كبير في جرائم العنف في الدول العربية.

كما يشير التقرير أيضا لنفس المركز إلى مجموع الجرائم ضد الأشخاص التي حدثت في ١٤ دولة عربية هي الأردن، الإمارات، الجزائر، السعودية، عمان، قطر،

لبنان، ليبيا، مصر، وقد بلغ العدد ٤٧١٧٨، ولا شك أن هذه الأرقام تشير إلى ضخامة جرائم العنف بشكل عام. وإذا ما استخدم مؤشر الأمم المتحدة لقياس تكلفة الجريمة (P.D.G)، وهو ذلك المؤشر الذي يربط تكلفة الجريمة بنصيب الفرد من الدخل القومي، فإننا نجد أنه يشير إلى ارتفاع تكلفة الجريمة في الدول العربية مقارنة بغيرها من الدول المتقدمة. وهذا أمر طبيعي، حيث تخصص الدول المتقدمة والغنية مبالغ كبيرة لمواجهة الجريمة.

وقد أظهرت النتائج الإحصائية للمركز توزيع تكلفة جرائم العنف والخطر في الوطن العربي، فأظهرت التباين بينها حيث بلغت التكلفة في السودان أعلاها، ثم اليمن ولبنان بمتوسط أعلى عن بقية الدول العربية التي سجلت فيها نسبة جريمة العنف دون المتوسط (الخولي، محمود ٢٠٠٨:٣٠).

(رابعا) تكوين العصابات

يتضح من الدراسات الميدانية التي أجريت في عدة أقطار عربية وجود بداية لتكوين عصابات في المنطقة، وإن كانت صغيرة الحجم إلا أنها تهدد بأخطار جسيمة في المجتمع؛ لأنها لا تشكل فقط أضرارا مادية وأمنية بارتكابها للجرائم والانحرافات في المجتمع، بل إنها تشكل أيضا خطورة على اجتذابها لأفراد جدد من أبناء المجتمع، فمن أين أتت هذه العصابات وكيف تكونت؟ إن إلقاء الضوء على كيفية تكون العصابات العالمية قد يساهم في تجنب تفاقم هذه الظاهرة في المنطقة، وذلك بمعالجتها في الوقت المناسب، ومنعها من التشعب و لاقتباس عن طريق التواصل والاقتباس وخاصة في زمن أصبح فيه التواصل العالمي أمرا ميسورا.

يعطي الدكتور غيث أمثلة لحدوث بعض العصابات في أوروبا وأمريكا (مثل لمافيا والجانز)، ويرى أنهم كلهم بدءوا حياتهم كأحداث منحرفين. ويقول: العلمكم (في تلك الدول) عندما تنتشر الظاهرة فإنه يكون للأحداث المنحرفين مدرسة لها عميد وهيئة تدريس متخصصون... وفيها فصول، يدخل الحدث سنة

أولى، ويتدرج في المراحل بعد نجاحه حتى يتخرج منحرفا مؤهلا ليعمل كل ما تتصوره من جرائم، وحتى يحولوا سلوك الحدث المنحرف من السلوك السوي الطبيعي... كانوا يجعلون هذا الحدث يمر بعدة مراحل... كانوا يدفعونهم إلى تعاطي المخدرات والخمور حتى ينهار خط التفكير الطبيعي وخط المسلك الصحي، وحتى يفصلوا بين مرحلتين من السلوك السوي والسلوك المنحرف، فكانوا يسقون الأولاد سبرتو بالقوة وبالضرب وبالإيلام الشديد، فيشرب مرة واثنتين، ويتركونه بالليالي في حالة إعياء كامل، ثم يكررون معه التجربة، هذه هي امتحانات القبول لإدخاله المدرسة. الأمر الثاني: وحتى يتحول السلوك من بقايا حالة الصحة إلى المرض الكامل والانحراف الكامل، يهددون آدميته، بمعنى أن يمارس معه الأولاد الكبار الجنس لمدة معينة حتى ينهار تماما، فيغيب عن وعيه، وتنتهي آدميته فيصبح مثل الخاتم تراجع في هيئة التدريس وعميد المدرسة، ثم تبدأ المرحلة الثالثة من تنشئته انحرافيا، وهي تعليمه بعض المهن الانحرافية البسيطة، مثل النشل في الطرقات وفي المواصلات العامة، ويتدرج من أبسط أنواع السرقات إلى ارتكاب الجرائم عند اللزوم، وبعد تخرجه من هذه المدرسة يصبح قادرا على أن يقرن السرقة بحمل السلاح، وهنا السبب الذي من أجله أصبحت المافيا والعصابات في العالم تستخدم هؤلاء المنحرفين بعد وصولهم سنا معينة في عمليات إجرامية أصبحت تدار الآن إدارة علمية على أعلى مستوى (غيث، محمد عاطف ١٨٥:١٩٨٨).

تلك هي أهم أنواع الانحراف الشائعة في المنطقة العربية كما تبينها الدراسات آنفة الذكر، وإن كانت معظم خصائصها عالمية، إلا أن اتساع انتشارها يعبر عن خلل أصاب المجتمع مؤخرا، فكيف نشأت هذه الظاهرة وما هي أسبابها؟